مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

١٣ رسائل في الحوار

الإيجابيَّة في خَتْمِ الحِوار

أ. محمد بن عادل السيد

رسائل في الحوار ١٣

مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

الإيجابيّة في خَتْم الحِوار

أ. محمد بن عادل السيد

الرياض
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

ح مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني،١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
السيد، محمد بن عادل
الإيجابيَّة في خَتْم الحِوار.. أ. محمد بن عادل السيد ،
الرياض، ط ١، ١٤٣٣هـ
٨٠ ص: ١٧ × ٢١ سم.
ردمك: ٢-١-٨-٩٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨
١ - الحوار ٢- الأخلاق الاجتماعية أ - العنوان
ديوي: ١٧٧,٢ ١٤٣٣/١٤٩٣

الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ
رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٤٩٣
ردمك: ٢-١-٨-٩٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨

ص.ب. ٨٩٨٦٦ ، الرياض ١١٦٩٢
البريد الإلكتروني: info@kacnd.org
www.kacnd.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــات

تصدير

الحمد لله حمدا تقتضيه نعمه وآلاؤه ، والصلوات والطيبات والتسليمات على النبي المختار ،محمد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد :

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج منها: اللقاءات ، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث.

ومن هنا عني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع رسالته ، وتحقق أهدافه .

و سلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي أطلقها المركز ، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا روعي فيها سهولة العبارة ، ووضوح المعنى .

ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى هذه الرسائل تفاعلا إيجابيا من لدن الباحثين ، حسب تنوع تخصصاتهم، الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات ، ويضاعف – في الوقت نفسه – مسؤولياته تجاه المجتمع ، في ظل دعم الدولة لجهود المركز ونشاطاته..

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة والذي يحمل عنوان (**الإيجابيّة في ختم الحوار**) .

فللكاتب منا جزيل الدعاء والثناء وللقارئ الكريم وافر الود والتقدير

والله من وراء القصد . .

هيئة التحرير

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أمّا بعد:

فَيَجمُل بالمسلم أن يراجع بينَ الفينَة والأخرى سلوكياته في تعامله مع الخالق سبحانه وتعالى وعبادته، وسلوكيَّاته في التعامل مع المخلوقِين؛ سعيًا للرقيّ بأخلاقه وتحسينها، فالدِّينُ حسنُ الخلق، ويدخل في الخُلُق كل سلوكٍ ظاهر أو باطن، وكل الممارسات التي من شأنها أن توصف بالإيجابيَّة أو السلبيَّة، ويدخُل موضوع (الحوار) في ذلك دخولاً أساسيًا؛ لأنه عمليَّة تشاركيَّة بين طرفين أو أكثر، فهو ميدانٌ تبرز فيه الأخلاق، وتتجلى فيه معادنُ الرِّجال.

ومن هنا كان الحديثُ منذُ القدم مستمرًا عن موضوع (الحوار) بتعدد أشكاله، وتنوّع صوره ومقاماته ويأتي هذا الموضوع في عالمنا المعاصر متخذًا أشكالاً عدّة، وصورًا شتى، ويصبح -كما كان- أداة متميزة للتَّواصل والتَّفاهُم، وتتعدد أشكاله وتتنوع طرائقه، إلا أن هناك آدابًا مشتركة، وأسسًا ثابتة تجعل حواراتنا حضارية هادفة، تحقق مآربها، وتصل إلى القلب لتعمل فيه عمل السحر.

وقد أسْهَم كثيرٌ من العلماء والباحثين والمفكرين بمصنفاتٍ بَسطُوا فيها هذه الآداب، وأشاروا إلى تلك الأسس المهمَّة، كما تميزت جهاتٌ بنشر تلك الثقافة وإذاعتها، ومن أبرز تلك الجهات:

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني؛ الذي أسهم في زيادة الوعي بموضوع الحوار، وأقام فعاليات ودورات متميزة في ذلك.

ونظرًا لأن موضوع (الحوار) واسعٌ متشعِّب؛ فقد أحببت أن يكون هذا الكُتيِّب إضاءةً يسيرة على جانب مهم من جوانب الحوار هو الخِتَام؛ فالخاتمة لا تقل أهمية عن المقدمة، بل تكاد تكون نتيجة للحوار، أو يكون الحوار تمهيدًا لها، فالأعمال بالخواتيم؛ بل كثيرًا ما ننسى تفاصيل الحوار وما دار فيه؛ إلا أن الخاتمة تبقى عالقةً في الذِّهن، تُشَكِّل صورة ذهنيَّة حول مَن نتحاور معه، أو ما يدعو إليه، ومن هنا أحببت أن أشارك بجهد متواضع في هذا الموضوع؛ أردت من خلاله أن أسترعِي الانتباه إلى أهميته، ولم يكن همِّي أن أجمع كل شواهده، أو أفيض في تحليل تلك الخواتيم الإيجابية للحوارات، بل حرصت على أن يطّلع القارئ الكريم على هذا الجانب المهم في الحوار؛ ويحرص على أن يختم حواراته بإيجابيَّة تأسر قلب من يدعوه، وتجعله يعود ليفكِّر في الصَّواب؛ لأن كلمات محاوِرِه في ختام حديثِه لا تزال عالقةً في ذهنه، تدعوه بإيجابيَّة للتَّبصُّر والتَّعقُّل، بدل أن يسدّ الباب في وجهه بعبارة ختامية تنفّر من حواره، وما يحمله هذا الحوار!

وقد أشرت إلى بعض أساليب الوحيَيْن: الكتاب والسُّنَّة في ختم الحوار؛ فإن المتأمِّل في نصوصهما يجد فيهما شفاءً من كل داء، وحلاً لكل مشكلة، ومنهجًا فريدًا يدعونا للتأسي به، في كل شؤون حياتنا، لاسيما تلك الأمور التي تتعلق بتعاملنا مع الناس،

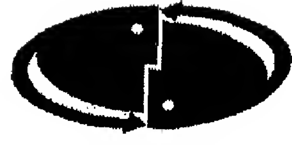
وتنظم علاقة المسلم بمن حوله، وتصوّر الرُّقي في التعامل مع الناس بتنوع ألسنتهم وألوانهم، بل وتعدد مللهم ونِحَلِهم؛ علّنا أن نتعلم من هذا الأدب الرفيع ما يكون سببًا لنجاحنا في دعوتنا، ونصحنا، وفي أثناء محاوراتنا مع الناس.

والحمد لله أولاً وآخرًا، ثم الشُّكر لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني على قيامه بمشروع طباعة رسائل في الحوار، ومد الباحث ببعض مراجعه.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجُهد كاتِبَهُ وقارِئه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، إنه سميع مجيب.

وبالله التوفيق..

محمد بن عادل السيد
Masayed31@gmail.com



التمهيد

- مفهوم الإيجابية في الحوار.
- ختم الحوار وإنهاؤه.
- أهمية الختام في الحوار.

التّمهيد

مفهوم الإيجابيّة في الحوار

الإيجابيَّة مصطلح يتغير بحسب سياقه واستعماله، إلا أنه يبقى دائمًا يفيد معنى ضدّ السلبيَّة، ويعبّر عن الوجه الحسن من كل شيء، حتى ما كان ظاهره سيئًا، يقول د.عبدالكريم بكّار –حفظه الله–: "نعني بهذا المصطلح على نحو تقريبي درجة عالية من الفعالية الفكرية والشعوريَّة، والنفسيَّة، تترتب عليها وضعية حسنة من الطمأنينة والارتياح، إلى جانب وضعية جيدة من الالتزام والإنتاجية الممتازة، بالإضافة إلى نجاح جيد في العلاقات الاجتماعيَّة"[1].

ويمكن أن يُطلق وصف الإيجابيَّة على أركان الحوار وعناصره، كما أنه يمكن أن يطلق وصفًا للحوار كاملاً، فيُقال: حوار إيجابي، إذا كان ذا قيمة، وحقق أهدافه، وراعى المتحاورون فيه أصول الحوار العلمي، والتزموا آدابه.

والحوار الإيجابيّ هو "الحوار الموضوعي الذي يرى الحسنات والسيئات في ذات الوقت، ويرى العقبات وإمكانات التغلُّب عليها، وهو حوار متفائل، ومتكافئ يعطي لكلا الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي، ويحترم الرأي الآخر، وهو حوار واقعي يتصل إيجابًا بالحياة

(١) مقومات الشخصية الإيجابية: ١، نقلاً عن كتاب: الإيجابية: نماذج، ضوابط، مقومات، توفيق علي زبادي، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: ١١.

اليومية اتصال تفهّم وتغيير وإصلاح، وهو حوار تسوده المحبّة والمسؤولية، وإنكار الذات، وإثبات الآخرين.."[1].

إذن فالحوار الإيجابيّ الفعال هو الذي يتصف بالآتي:

- "أنه يرى الإيجابيات فيعزّزها، والسلبيات فيعالجها.
- والذي يحترم كل الآراء المطروحة، ولا يضيق بأيّ منها.
- والذي يهدف إلى إظهار الحق بكل شفافية وصدق، مع الحفاظ على المودة بين الأطراف"[2].

وكما يمكننا أن نصف الحوار كله بالإيجابية -كما سبق-؛ فيمكن أن نطلق على ختام الحوار ونهايته هذا الوصف؛ إذا كانت النهاية فيه تحقق غرض الحوار، وتناسب المقام، وليس معنى هذا أن الحوار حين ينتهي بقوّة في الرد مثلاً، أو مقابلة بالمثل يكون حوارًا سلبيًا غير إيجابيّ في كل الحالات؛ لأنه في بعض الأحيان تكون هذه النهاية هي التي تحقق الغرض، وتؤثر في الطرف الآخر، وهذا يعني أن النِّهاية الإيجابيَّة دائمًا لا تؤدي إلى خسارة الهدَف، وهذا هو الفارق بينها وبين النهاية السّلبيَّة، التي قد يخسر المحاور هدفه من محاورة الطرف الآخر، أو يشوّه سمعة ما يدعو إليه ولو كان حقًا.

(١) ينظر: الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ٣١.

(٢) الحوار حياة، إيهاب العشري، مكتبة المعارف المتحدة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٢٧.

خَتم الحوار وإنهاؤه

المراد بختم الحوار: إنهاؤه الذي قد ينتج عنه افتراق المتحاورَيْن، إما بسبب اقتناع أحدهما بما لدى الآخر، أو عدم تقبله لما طَرَح عليه، ونحو ذلك.

إنَّ النهاية المثلى للحوار أن يُؤتي أُكُله، ويصل المتحاوران للرأي الصواب الذي يجمعان عليه، إلا أنه "ليس من اللازم في الحوار الجيد أن يقتنع أحد الطرفين بقول الآخر، أو أن يعلن رجوعه عن أفكاره، وإنما يكفي في الحوار المثمر أن يشتمل على نوع من الوعد بمراجعة الأفكار والتراجع عن بعض الرؤى والمواقف إن تبيَّن بطلانها أو هشاشتها"[1] إلا أن على المحاور الفَطِن ألا يُجبر محاورَه على النُّطق بالرأي الصّحيح الذي يخالف ما كان يعتقده؛ بل عليه إذا أحسّ أن صاحبه قد مال إلى الصواب أن يجعله يتبناه دون أن يُشعره أنه تنازل أو تراجع أو خسر، أو يشعره بالدّونيَّة، وقصور الفَهْم، ونحو ذلك؛ حتى لا تأخذه العزّة بالإثم فتمنعه من اعتناق الحق حفاظًا على مكانته أو ما يزعم أن ذلك من ضعف النفس! ذلك أنه ليس كل شخص يتمتع بنفسيَّة تقبل الرجوع إلى الحق وإن كان مع غيره، والتنازل عن الباطل وإن كان معه.

وحينما يجد المحاور أن محاوِرَه قد وصل إلى حدٍّ من العناد، وتصلّب الرأي، وعدم التجاوب معه؛ فإن من الحكمة والإيجابيَّة هنا أن يتوقّف -اضطرارًا- عن مواصلة حواره؛ حتى لا يجرّه الاستمرار في الحوار إلى

(١) الدليل العلمي للحوار البنّاء: (٤٠ مهارة وأدبًا)، د.أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوكن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م : ١٠١.

جدل عقيم وخاتمة قد تنتهي بخاتمة سلبية يخسر فيها كلا الطرفين.

وقد نقل د.أحمد بن عثمان المزيد[1] ما ذكره بعض الباحثين أنه ينبغي إنهاء الحوار في بعض الحالات، منها:

- إقفال الطرف الآخر عقله، وعدم تقبّله الاستماع لرأي غيره.
- تحوّل المحاورة إلى استهزاء وسخرية.
- تحوّل الحوار إلى كذب وافتراء.
- وجود اختلاف على قضايا كلية لا يسمح الوقت بالتحاور فيها.
- عدم وجود الجديَّة لدى أحد الأطراف، أو عدم قدرته على المحاورة.
- انفعال أحد المتحاورين بما لا يمكن معه إكمال المحاورة.

(١) ينظر: الدليل العلمي للحوار البنَّاء، د. أحمد بن عثمان المزيد: ١٠١.

أهمية الختام في الحوار

للخاتمة وقعُها في النُّفوس وأثرُها الذي يبقى في الأذهان؛ فهي آخر عهد المستمع بالمتكلم، وهي "في الحقيقة أكثر النِّقاط إستراتيجيَّة في الخطاب، فما يقوله الإنسان في النهاية يبقى يرن في آذان المستمعين.."[1] يقول ابن أبي الأصبع في كتابه بديع القرآن: "يجب على المتكلم شاعرًا كان أو ناثرًا أن يختم كلامه بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في السَّماع، ولأنها ربما حُفِظَت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها"[2]، وهذا في الكلام عمومًا، فكيف إذا كان حوارًا بين طرفين، أظنّ أنه من باب أولى أن نعتني بتلك الخاتمة؛ لأنها تعد وسيلة فنيَّة لجذب الطرف الآخر وإقناعه من حيث لا يشعر.

وتتجلى أهمية الختام في الحوار في أنها تكشف عن دوافع الحوار وغاياته، فإذا كانت الخاتمة إيجابية كان الحوار "تعاونًا من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها؛ ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق"[3]، أما إذا كانت النهاية تحمل طابع السلبيَّة، وقذف الطرف الآخر، ووسمه

(١) كيف تتحاور مع الآخرين؟، رضا محمد العراقي، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م: ١٧٥.

(٢) بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حنفي شرف، طبعة دار النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م: ٣٤٣.

(٣) الإيجابية، نماذج– ضوابط– مقومات، توفيق علي زبادي: ٦٦.

بقبيح الصفات فإن تلك النهاية تؤكد أن الحوار كان مبنيًا على أهواء ورغبات ذاتيَّة، منطلقًا بهدف إثبات الذات، وحشد الأدلة التي تؤكد صدق ما يقوله؛ لكونه صادرًا عنه فحسب، بغض النظر عن صوابه أو خطئه، كما أن "ختام الشيء هو آخر ما يلقي المحاور، ولذلك أثره البالغ؛ إذ هو آخر ما يعلق بالنفس، وأكثر ما يتصل بالقلب؛ فإن كان وقعه حسنًا انسحب ذلك على الحوار، وإلا ساء الأثر، أو قلت الفائدة المنشودة"(١).

(١) الحوار في السيرة النبوية، د.محمد إبراهيم الحمد، طبعة رابطة العالم الإسلامي– المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: ١٤١.



المبحث الأول

من أساليب القرآن الكريم في ختم الحوار

- الدعاء
- الحثّ على السّلوك الأمثل والدّعوة إليه بلطف.
- الرجوع للأسس والمبادئ.
- اللّجوء إلى السّنَد القوي.
- الإيحاء بقوّة الموقف.
- بيان الهدف من الحوار.

المبحث الأول
من أساليب القرآن الكريم في خَتْم الحوار

القرآن الكريم مليء بالحوارات، وهي مع تنوعها، وتعدد أطرافها؛ تجتمع في أنَّ كل حوار نموذجٌ فريد، وأسلوب بديعٌ في بلاغته، فتجد الحوار متآلفاً مع سياقه، محققاً غرضَه، وقلَّ أن تَجِدَ باحثاً أو كاتباً يتحدث عن الحوار دون أن يكون كتاب الله تعالى مصدره الأول، ودليله الظاهر على ما يقوله ويسوقه من حديث حول الحوار: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾[1]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً ﴾[2]، ومن هنا آثرتُ أن أعرض للقارئ الكريم بإيجاز شديد بعض الأساليب القرآنية في ختم الحوار.

الدعـــاء:

ما أجمل أن يُختم الحوار بالدعاء للطَّرف الآخر؛ فهذا بلا شك ينبئ عن صفاء في القلب، وصحة في النِّيَّة، وجمال في الأسلوب والدعوة.. فالدعاء يمنح الطرف الآخر اطمئناناً وتعاطفاً مع ما تدعو إليه، هذا علاوة على أن إنهاء الحوار بالدعاء فيه تبرك باسم الله، وفيه طلب من الله أن يُظهر الحق، وأن يهدي الطَّرفين إليه.

وإذا تأملنا هذا الأسلوب وجدناه في عدة حوارات قرآنية، ومن أبرزها حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر، فحينما وقف أبوه موقفاً

(١) النساء: ٨٧.

(٢) النساء ١٢٢.

متصلبًا: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾[1]، "لم يستطرد إبراهيم مع أبيه أمام هذا العناد، ولم يدخل في خصام، بل أنهى الحوار نهاية أبان فيها حرصه على أبيه من دون الدخول معه في لجج أو خصومة"[2]: ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾[3] فلم ييأس من هداية والده، فهو في دعوته رحيم شفيق عليه، يخاف عليه من عذاب الله: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾[4].

ولروعة الدُّعاء حين يأتي في خاتمة الحوار ملطفًا ومطمئنًا للطرف الآخر آثره نبي الله يوسف عليه السلام حين كان حديثه مع إخوته بعد رحلة طويلة مع الفتن والابتلاءات، فحين جاؤوه معتذرين يقولون: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾[5]، ردّ عليهم بلطفٍ وختم بالدّعاء: ﴿ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[6].

---

(١) مريم: ٤٦.

(٢) الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل، د.عيسى الدريبي، سلسلة رسائل في الحوار (٤)، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: ٣١.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) مريم: ٤٥.

(٥) يوسف: ٩١.

(٦) يوسف: ٩٢.

الحث على السُّلوك الأمثل والدَّعوة إليه بلُطف[1]:

مهما كانت أخلاق من نتحاور معه، فإنه يجب علينا أن نحاوره بلطف إلى آخر لحظة في الحوار، ويعلمنا المنهج الربَّاني الكريم كيف يكون الرُّقي في ذلك، فنجد الرجل الصالح في قصة صاحب الجنتين، حين أراد ختم الحوار معه حثه على السلوك الأمثل، ودعاه إليه بلطف، تأمل سياق الآيات الكريمة : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ، وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً ﴾[2]، فبعد أن بيَّن له خطورة ما هو عليه من الكفر بالله وجحد نعمه؛ ختم حواره بحثِّه على السلوك الأمثل، من خلال أسلوب رفيع : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ ، هذا تحضيض وحثّ على ذلك، واستخدم "لولا" ولم يقل له "افعل"، أو "لِمَ لَمْ تقل كذا" أو نحوها من العبارات التي تشعر بالأمر الذي قد يُقابل بالرفض خصوصًا في مثل هذه الحالة التي نجد فيها الطرف الآخر متكبرًا مغترًا بنفسه.

ومن شواهد ذلك أيضًا في كتاب الله تعالى، ما جاء في سياق قصة أصحاب الجنة، حين أراد أحدهم أن يدعوهم إلى سلوك المنهج القويم : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾[3]، أي: هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم، وذكَّرهم انتقام الله من

(١) ينظر: الإيجابية، نماذج – ضوابط – مقومات، توفيق علي زبادي: ١٠٧.

(٢) الكهف: ٣٧–٣٩.

(٣) القلم: ٢٨.

المجرمين؛ ولذا استجاب إخوته لكلامه دون تردد : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[1].

"وانظر إلى حوار شعيب عليه السلام مع قومه، حينما قال له قومه في لفظ تهكم: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[2]، وصفوه بهذين الوصفين الجليلين (الحليم، الرشيد) على طريقة الاستعارة التهكميَّة، فالمراد ضد معناهما، لكنه عليه السلام ردّ عليهم في مجادلة حسنة : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[3]"[4] فقد "تلطف معهم تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق معه، ويعرض عن تلك السخرية لا يبالي بها، وهو يشعر بقصورهم وجهلهم.. يتلطف في إشعارهم أنه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه، وأنه على ثقة مما يقول؛ لأنه أوتي من العلم مالم يؤتوا"[5]، ولم يكتفِ عليه السلام بذلك بل شرع يكرر عليهم الإنذار، ويفتح أمامهم باب المغفرة : ﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا

---

(١) القلم: ٢٩.

(٢) هود: ٨٧.

(٣) هود: ٨٨.

(٤) الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل، د.عيسى الدريبي: ٣٠.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم والطباعة والنشر، جدة، الطبعة ١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: (٤/١٩٢٠).

أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(1)، فما أروع تلك النهاية الإيجابية، في حوار أولئك القوم الذين غلبت عليهم شقوتهم! وهكذا يتعلم الداعي كيف يختم حواره مع أعداء دعوته، مهما كان أسلوبهم.

ولاحظ كيف ردّ هؤلاء على نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾(2)، "..فشعورهم بالهزيمة دفعهم إلى التماس شيء ينالون به من خصمهم شعيب، ويسترون به هزيمتهم أمام الناس، وإذا كانوا قد لجؤوا إلى الشتائم أثناء المحاورة عند إحساسهم بالعجز؛ فإن الشتائم لا تكفي عند تحقيق هزيمتهم؛ ولذلك فكّروا في أن يقتلوا شعيبًا بالرّجم.. إلا أن قرابته القويّة بهم منعتهم من ذلك.. وحينما وصل شعيب إلى حالة اليأس منهم لجأ إلى الوعيد بالأسلوب الرائع، الذي يملأ النفوس روعًا.. ولم يتخلَّ عن استمالة قومه، بمثل قوله: (يا قوم)، وحتى حينما ختموا المحاورة مصرِّين على الكفر؛ فإن شعيبًا لم ييأس منهم،"(3)، كما أنه لم يحكم عليهم بالهلاك العاجل؛ بل طلب منهم ترقُّب العذاب إن استمروا على ما هم عليه من الضلال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ

(1) هود: 89–90.

(2) هود: 91.

(3) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د.عبدالحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1995م: 99–100.

رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾[1].

الرجوع للأسس والمبادئ:

حينما يصل الحوار إلى المساس بأمور العقيدة والمبادئ والقيم، فإن الشرع الحكيم لا يقابل ذلك بالعنف، ولا بتسفيه المتحاور معه؛ بل نجد في حوارات القرآن الكريم نمطًا إيجابيًا في ختام الحوار، ومن ذلك الرجوع للأسس والمبادئ والتأكيد عليها، نجد ذلك في حوارات أصحاب الكهف بين يدي الملك الضال، فإنهم لما أرادوا أن يختموا حديثهم سارعوا بإعلان عقيدتهم ومبادئهم الراسخة : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾[2]، هم بهذا الختام حققوا الإيجابية، لقد كان "موقفهم صريحًا واضحًا، لا تردد فيه ولا تلعثم.. ولقد تباين الطريقان، واختلف المنهجان فلا سبيل إلى الالتقاء، ولا للمشاركة في الحياة، ولابد من الفرار بالعقيدة"[3]؛ لكنهم رغم ذلك لم يتعدوا في حوارهم على الطرف الآخر.

ونموذج آخر جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ، لَكِنَّا هُوَ

(١) هود: ٩٢-٩٣.

(٢) الكهف: ١٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٢٦٢.

اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾[1]، هنا نجد الرجل الصالح يحاور صاحبه بأسلوب هادئ؛ علّه أن يثوب إلى صوابه، فيشير إلى مبدئه الذي لا تنازل فيه : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾[2].

اللجوء إلى السند القوي:

حينما يتوصل الحوار إلى طريق مسدود من قِبل صاحب الباطل، ويطغى عليه الهوى، فإن من الحكمة ألا يواجه بأسلوب ضعيف، بل يشعر محاوِرَه بأن لديه سندًا قويًا يلتجئ إليه؛ إشارة إلى اعتزازه به، وينتج عن ذلك إحساس بالانتصار، ودعوة لصاحب الباطل أن يثُوب إلى رشده، ويتجلى هذا الأسلوب الإيجابي الرائع في ختم أصحاب موسى عليه السلام حوارهم مع فرعون، فبعد أن هددهم، وتوعّدهم – كعادة الضعفاء في حواراتهم– ما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[3]، وفي سياق آخر للقصة : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[4].

تأمل هذه الإيجابية في ختام حوارهم، فهم رغم كل التهديدات لم يتراجعوا، وفي الوقت ذاته أعلنوا إيمانهم بالله، وتوحيدهم له؛ حينها

---

(١) الكهف: ٣٧–٣٨.

(٢) الكهف: ٣٨.

(٣) الأعراف: ١٢٥.

(٤) طه: ٧٢–٧٣.

فقط لن يبالوا بمصيرهم الدنيوي الذي هددهم به فرعون، لأنهم حصّلوا السعادة بالفوز بالشهادة، وبمثل هذا الأسلوب الراقي ينبغي أن نختم حواراتنا، فلا فائدة من مقابلة السيئة بالسيئة طالما أن هذا لن يجدي.

وحوار آخر دار بين خليل الله إبراهيم عليه السلام وقومه، فلما أظهر لهم الحجة، وأوضح المحجَّة، ختم حواره بعودته لربه وتوحيده له؛ ليشعر قومه بأن لديه سندًا قويًا سيعصمه مما يدعونه إليه من الشرك.. قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِيِّ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]، لقد ملأ التوحيد قلبه، فجعل منه خاتمة لحواره، ومن خلال هذا الختام يوجه دعوة أخرى لهم لعلهم يتذكرون، فهو أنموذج رائع يصلح أن يكون منهجاً للحوار بين فريقين؛ للوصول إلى الحق من خلال التفكير المشترك، إضافة إلى الحوار الذاتي الذي يهدف لتوصيل القناعة لذهن المحاوَر، كما في بداية القصة: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[2]، إنه "نموذج حي رائع، يبحث عن الحق، ويسعى إليه في موقف كان فيه هو نفسه طرفاً للحوار الذاتي الذي يجرّد فيه من نفسه شخصاً ثانياً يتأمل ويناقش من أجل

(١) الأنعام: ٧٩–٨٠.

(٢) الأنعام: ٧٦–٧٨.

الوصول إلى الحق: لينتهي بعد ذلك إلى موقف الإيمان الحق"[1].

الإيحاء بقوّة الموقف:

إن الإيجابية في ختم الحوار لا تعني التخاذل أمام الخصم الذي يحمل الباطل، كما أنها في الوقت نفسه لا تدعو لاتخاذ أسلوب يعود ضرره على دعوة الحق التي ندعو إليها، ومن ثمَّ كانت بعض المواقف تستلزم إظهار القوة فيما نملك من الحجج، وتحملنا المسؤولية حول ما نطرحه، مما يشعر المحاور بأن عليه أن يعيد النظر فيما بين يديه، وهذا منهج قرآني رائع، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4]، فمن خلال هذا الإيحاء بقوة الموقف نستطيع أن نختم حوارنا، "وفي هذا الأسلوب ما يوحي بقوة موقف الرسول ﷺ عند تأكيده للآخرين بطريقة يتحمل فيها المسؤولية بقوة واطمئنان؛ مما يوجب التفكير العميق في صدقه، وجدّيته في الدعوة، كما يحمل المعاندين على التفكير فيما يسيرون عليه من

(١) الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، السيد محمد حسين فضل الله، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م: ٧٣.

(٢) سبأ: ٥٠.

(٣) هود: ٣٥.

(٤) يونس: ٤١.

خطأ وانحراف.."[1].

بيان الهدف من الحوار:

قد يجد المحاور أن الطرف الآخر قد شرع يخرج عن الأسلوب الصحيح في الحوار، وانحرف عن الخط المستقيم؛ وحينئذٍ لا ينبغي الاستمرار في مثل تلك الحوارات التي لا طائل من ورائها، وقد يكون المخرج من ذلك الحوار هو إعادة تذكير المحاوَر بهدف الحوار معه، وأنه لا يقصد بحواره سوى النصح وإظهار الحق؛ فلعل ذلك التذكير يكون سببًا في إرجاعه لصوابه، أو إنهاء الحوار بهدوء، بعيدًا عن التشنُّجات، والجدال، والخصام.

ومن روائع ذلك ما نقرؤه في قصة نوح عليه السلام ، "فبعد حوار طويل بينه وبين قومه، ينطلقون في صلفٍ وتحدٍ : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴾[2]، لكن نوحًا عليه السلام لم يخرجه هذا التشنُّج من قومه عن سمته الكريم؛ فبيَّن لهم أن هذا ليس من قدرته، وليس من مهمته"[3]، وعاد يذكرهم بهدفه من حواره معهم : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْن، وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4] "مقابلة

---

(١) الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، السيد محمد حسين فضل الله: ٢٢٠.

(٢) هود: ٣٢.

(٣) الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل، د.عيسى الدريبي: ٣٢– ٣٣.

(٤) هود: ٣٣–٣٤.

لتذمرهم وتضجرهم، وتأييسه من اقتناعهم بالتبرؤ من حوله في إنفاذ ما طلبوا ثم تلطّف معهم في إبعاد الحوار عن التشنجات باختيار لفظ (نصح) بدل كلمة (جدال)؛ ليبين لهم أن ما قاله لهم أولى بأن يسمى نصحًا وليس جدالاً؛ لأن النصح قول أو عمل يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار بعكس الجدال الذي يكون في الخير وفي الشر.."[1].

من خلال ما سبق تبيَّن أن القرآن الكريم يحرص على ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج؛ فإذا سار حوارنا جادًا وفق هذا المنهج الرباني من قبل جميع الأطراف؛ فإنهم سيصلون بإذن الله إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب، حتى وإن رفض أحد المتحاورين الحجج العقلية، لأنه يمارس حقًا أصيلاً كفله الله له، وسيكون مسؤولاً عنه أمام الله عز وج : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه "قد تقتضي بعض الأحوال قوَّة الحق وبيانه بالرد بخطاب قوي إذا كان المحاور قد تجاوز حدود الأدب في الاستهزاء أو الاتهام بالباطل"[3]، وهذا لا يتعارض مع الإيجابية –كما أشرت إليه سابقًا في مفهوم الإيجابيَّة– لأن ذلك يكون في تلك الحالة هو

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ١٢،٦١، و: الحوار الناجح، د.عيسى الدريبي: ٣٣.

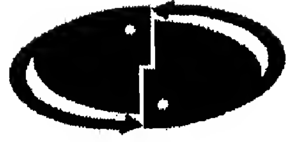
(٢) القصص: ٥٥.

(٣) الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل، د.عيسى الدريبي: ٢٨.

المناسب للمقام، فمن الحكمة أن يكون الرد قويًا ، ومن شواهد ذلك رد موسى -عليه السلام- على فرعون؛ فحينما اتهمه : ﴿ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً ﴾[1]، ردّ عليه : ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾[2].

(١) الإسراء: ١٠١.

(٢) الإسراء: ١٠٢.



المبحث الثاني

من الأساليب النبويّة في ختم الحوار

- إدخال السُّرور على المحاور.
- الدُّعاء للمحاور.
- جوامع الكلم في خواتيم الحوار النَّبويّ.
- الرِّفق إلى النِّهاية.
- الهدوء والحكمة.

المبحث الثاني

من الأساليب النبوية في ختم الحوار

لما كان "المبدأ الأساس للحوارات النبوية يرتكز بوضوح على مبدأ احترام حقوق الفرد وحريته، ولكن في حدود ضوابط الإسلام"[(١)] كانت تلك الحوارات تترفع عن المخاصمة التي تفضي إلى نهايات سلبية، فهي بحق "تتسم بمراعاة حرية الفرد في الاختيار بين الأديان، ومراعاة حق الفرد في المراجعة والتعليق، ومحاولته إقناع الطرف الآخر وإن كان ما يعلّمه له تشريعًا.."[(٢)] إلى غير ذلك من الأساليب السَّامية التي نفتقد كثيرًا منها في حواراتنا اليوم.

ومن هنا فإننا بحاجة إلى مراجعة تلك النصوص النبويَّة المشتملة على الحوار؛ للتعرف على الأدب الرفيع، والأسلوب الحكيم للحوارات الراقية، ولا يمكن هنا أن أسوق كل تلك الحوارات لنستنبط منها ما يخص موضوع ختم الحوار، لكن حسبي أن أشير إلى طَرَفٍ منها؛ لتنير لنا طريق الحوار الإيجابيِّ الذي يحقق أهدافه، ويصل إلى غاياته.

إدخال السرور على المحاور:

الحوار النبوي أحد أساليب الدَّعوة التي كان رسولنا ﷺ يستخدمه

---

(١) الحوار النبوي: المبادئ والأساليب، د.سعيد بن إسماعيل صيني، سلسلة رسائل في الحوار (٨)، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٨.

(٢) المرجع السابق: ٩.

بحكمة وروعة فاقت كل بيان، ولما كانت غايته هي الدعوة، حرص ﷺ على أن ينهي كثيرًا من حواراته بإرضاء السائل، وإشباع رغبته، وإدخال السرور عليه، وأمثلة ذلك كثيرة؛ منها ما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "وما أعددت للساعة" قال: حُبُّ الله ورسوله. قال: "فإنك مع من أحببت"، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ : "فإنك مع من أحببت". قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر؛ فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم[1]، "فانظر إلى هذا الحوار اللطيف، وكيف ختم بتلك الخاتمة التي أشبعت رغبة ذلك السائل، وجرت مجرى المثل"[2]، ومثل ذلك حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[3]، وقوله ﷺ لعكاشة بن محصن: أنت منهم، عندما طلب أن يدعو له بنيل ذلك، فأدخل عليه السرور بتلك البشرى العظيمة.

الدُّعاء للمُحاوِر:

من كمال تلطفه ﷺ مع مَنْ يحاورَه فإننا كثيرًا ما نجده يَختم حواره بالدعاء لمن يحاوِره؛ إما بالهداية للإسلام، أو بأدعية يخصّه بها؛ تليينًا لقلبه، وتقريبًا له إلى جادة الصواب، ومن ذلك مثلاً حواره مع الشابّ الذي جاءه يطلب منه أن يأذن له بالزِّنا؛ فلم يعنفْه أو يزجره، بل

(١) البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) الحوار في السيرة النبوية، د.محمد إبراهيم الحمد: ١٤٢.

(٣) البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

تدرّج معه في السؤالات: "أتحبُّه لأمّك.. لابنتك.. لأختك.. لعمّتك.. لخالتك.." إلى نهاية الحديث فلما أقنعه بذلك ختم حواره بأروع نهاية؛ حيث وضع يده الشريفة عليه، وقال: "اللهمَّ اغفر ذَنبَه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فَرْجَه" فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء[1]، وفي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه وفيه أن أبا بَكرَة رضي الله عنه دخل المسجد ونبي الله ﷺ راكع، فركَع دون الصَّفّ، فقال النبي ﷺ له: "زَادَكَ اللَّهُ حِرصًا ولا تَعُدْ"، فتأمّل كيف كان هذا الدُّعاء مطمئنًا لنفس أبي بكرة، وفاتحًا لقلبه لتلقي النصيحة والتوجيه.

جَوامِع الكَلِم في خواتيم الحوار النبويّ:

ما أجمل أن نقتبس من نهايات حواره ﷺ أدبًا نتأدب به في حواراتنا في هذا الزمان، حيث إن حواراتنا تنتهي في كثير من الأحيان باتهامات للطرف المخالف، بل وتصنيفه عقديًا أو طائفيًا، ونحو ذلك! فلماذا هذا الشقاق؟.. لقد علمنا أن رسولنا الكريم ﷺ كثيرًا ما كان يستخدم التلميح بعيدًا عن التَّصريح والتَّسمية، ويعبِّر بجوامع الكلم حتى لا يذكر تفاصيل قد تحرج السائل، وهذا نجده أسلوبًا لإنهاء بعض حواراته ﷺ.

جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله! إن شرابًا يصنع بأرضنا يقال له: المِزرُ من الشعير، وشراب يقال له: البِتْع من العسل، فقال: "كل مسكر حرام"، وفي رواية قال أبو موسى:

(١) رواه أحمد (٥/٢٥٦، ٢٥٧).

"وكان رسول الله ﷺ أعطي جوامع الكلم بخواتمه"[1]، فما أروع هذه الخاتمة "التي أصبحت قاعدة من أعظم القواعد في الأشربة"[2].

وثمَّ نهايات كثيرة لحواراته ﷺ تتجلى فيها هذه السِّمة، مثل ختمه لحواره مع الرجل الذي جاءه من البادية يسأل عن دينه، فبعد أن عرض أركان الدين قال للنبي ﷺ: "والذي بعثك لا أزيدُ عليهنَّ، ولا أنقصُ منهنَّ" فلما مضى قال النبي ﷺ : "لئن صَدَق لَيَدخُلَنَّ الجنَّة"[3]، فتأمل كيف كانت هذه الخاتمة القصيرة مليئةً بالمعاني العظيمة؛ بل والأحكام التي استنبطها العلماء فيما بعد.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه فقال: قبَّل رسولُ اللهِ ﷺ الحَسَنَ بنَ عليّ وعنده الأقْرَعُ بنُ حابسٍ التَّميميّ جالسًا، فقال الأقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً من الوَلَدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظَر إليه رسول الله ﷺ ثمَّ قال: "مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم"[4]، فما أجمل هذا الختام الذي خرج من مشكاة النبوَّة ومن جوامع كَلِمِهِ ﷺ ؛ لتكون تلك الخاتمة نبراسًا لمن يريد الاقتداء به، والعمل بسنته ﷺ.

الرفق إلى النهاية:

"إنّ الرفق هو العامل المشترك الأكبر بين الحوارات النبويَّة سواء مع المسلمين أو مع غير المسلمين، وإن كانت بدرجات متفاوتة حسب

(١) البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) الحوار في السيرة النبوية، د.محمد إبراهيم الحمد: ١٤٣.

(٣) البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

(٤) البخاري (٥٥٣٨).

العوامل المتعددة، ومن رفقه ﷺ تجنُّب الدّعاء على الكافرين أو المُذنبين، وتجنُّب توجيه الكلمات والعبارات الفاحشة إلى الطرف الآخر، أو النقد اللاذع حتى للكافرين والمعاندين.."[1]، ولم يكن الرسول ﷺ يسفّه أحدًا حاوره، أو يتهمه - إذا أكثر عليه الأسئلة- بقلة الفهم أو نحو ذلك مما نجده حاضرًا في حواراتنا اليوم! بل كان رحيمًا رفيقًا بمحاوره، مجيبًا عن أسئلته مهما كانت، مع مراعاة لحالته وعدم جرح مشاعره، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن امرأة أتت النبي ﷺ فسألت عن غسلها من المحيض، فأمرها أن تغتسل. قال: "خذي فِرْصة (أي: قطعة) من مسك فتطهري بها"، قالت: كيف أتطهر؟ قال: "تطهري بها"، قالت: كيف؟ قال: "سبحان الله! تطهري" قالت عائشة - رضي الله عنها-: فاجتذبتها إليَّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم[2]. فما أروع متابعة رسول الله ﷺ لسؤالات تلك المرأة مع تكرارها عليه السؤال؛ وقد فهمت عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ لا يريد أن يصرّح بما قد يحرج السائلة، فتلقفت تلك المرأة وبينت لها.

ولم يكن رفقه ﷺ في حواره مقتصرًا على صحابته الكرام فحسب؛ بل تعدّاه إلى غيرهم، تقول عائشة -رضي الله عنها- إنّ اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السَّامُ عليك (أي: الموت)، قال: وعليكم، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: السَّامُ عليكم ولَعَنَكُم اللهُ وغَضِبَ

(١) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د.سعيد إسماعيل صالح صيني، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ٣٢٨.

(٢) البخاري (٣١٤، ٧٣٥٧)، ومسلم (٣٣٢).

عليكم، فقال رسول الله ﷺ : "مَهْلاً يا عائشةُ، عَليكِ بالرِّفقِ، وإيَّاكِ والعُنفَ أو الفُحشَ"، قالت: أولَم تسمع ما قالوا؟ قال: "أَوَلَم تَسمَعِي ما قُلتُ؟ رَدَدْتُ عَليهم فَيُستَجَابُ لي فِيهِم، ولا يُستَجَاب لهُم فيَّ"[1]، إن قوّة الإنسان "تتمثّل في قدرته على السيطرة على مشاعره في مواقف الغضب، فلا غرابة أن يكون النبيُّ ﷺ أهلاً لهذه الصّفة، ولا يقتصر الأمر على ذلك، ولكنه أيضًا يحث عليها، ويستنكر الردّ العادل لأم المؤمنين على وقاحة أولئك اليهود، ويرقّق لاستنكاره عليها بمناداتها باسمها، ثم بالكشف لها عن الحقيقة التي غابت عنها بسبب غضبها، فالمطلوب يمكن تحقيقه بلطف ولا يحتاج إلى مبارزة بالعبارات العنيفة"[2].

ومن إيجابيّة ختم الحوار في حواراته ﷺ "تجنُّب توجيه النَّقد مباشرة إلى الشخص المطلوب، ولكن توجيهه إلى طرف ثالث مثل: (شخصيَّة افتراضية) كقوله ﷺ : (وَيلَك، وَمَن يَعدِلُ إن لم أَعدِل، قدْ خِبتُ وخَسِرْتُ إنْ لَمْ أَعْدِل)[3]، أو حتى توجيه النقد إلى جماد مثل قوله: (صَدَقَ اللّهُ، وكَذَب بَطْنُ أَخِيك)[4]، ومن رفقه الاقتصار على الوصف المحايد والتّعليق في حدود الضرورة، مثل تعليقه على قول يشبه الإنكار على تقبيل الأطفال بقوله ﷺ : (من لا يَرحَمْ لا يُرحَم)[5]"[6].

(١) البخاري (٦٠٣٠).
(٢) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د.سعيد إسماعيل صالح صيني: ٢٧٣.
(٣) مسلم (١٧٦٥).
(٤) مسلم (٤١٠٧).
(٥) البخاري (٦٠١٣).
(٦) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د.سعيد إسماعيل صالح صيني: ٣٢٨.

الهدوء والحكمة:

ليس بعد وصف الله لنبيه ﷺ وصفًا أدقّ ولا أصدق، فقد نعته مولاه بقوله -جل شأنه- : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، وهذا يتجلّى في كل أفعاله، ومعاملاته، وحواراته مع صحابته الكرام، فكثيرًا ما "كان يصدر من بعض النَّاس -جهلاً- أشياء لا تخطر على بال، فيحتاج الأمر إلى التوجيه مع الأناة وسعة الصدر والتعامل معه بهدوء ورويّة؛ منعًا من تنفير الطرف الآخر أو التسبب له في الأذى، وقد يقتضي هذا تركه يستمر في خطئه حتى يكمله؛ ليتجنب إلحاق الضرر به، ثم تقدّم له النصيحة"[2]، وهذا وربّي أسلوب عزيز تجلّى في سيرته ﷺ العطرة، تأمّل حين دخل أعرابيٌّ المسجد فبال، فأسرع الناس إليه ينهرونه، فلم يوافقهم الرسول ﷺ على ذلك وأمرهم ألا يقطعوا عليه بوله، وقال: لا تُزرموهُ، دعُوه، فتركُوه حتى بال، ثم إنَّ النبي ﷺ دعَاهُ فقال له: إنَّ هذه المسَاجِد لا تَصلُحُ لشيءٍ من هذا البول ولا القَذَرِ، إنَّما هيَ لذِكْرِ اللهِ عزَّ وَجلّ والصَّلاة وقِراءة القُرآن، أو كما قال ﷺ وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّهُ عليه[3]، فما أروع هذا الخلق الرائع، ثم تأمّل لطفه ﷺ في حواره مع الأعرابيّ، فلم يعنّفه أو يقسو عليه.

---

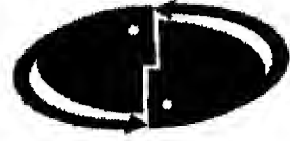
(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د.سعيد إسماعيل صالح صيني: ٢٤٤.

(٣) مسلم (٤٢٩).

ومن خلال الشواهد السابقة نجده ﷺ يغلق الحوار بأسلوب رائع، لا يسيء فيه إلى أحد، بل يقودهم معه إلى الفلاح في الدَّارَيْن بمثل هذه الإيجابية التي تأسر قلوبهم، وتفتح أمامهم طريقاً للرجوع إلى الصواب، وصدق الله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1].

(1) الأنبياء: ١٠٧.



المبحث الثالث

من ثمرات الختام الإيجابيّ للحوار

- تحقيق هدف الحوار.
- الاقتداء بالمنهج القرآنيّ.
- ضمان استمرار الحوار.
- تحقيق خلق الصبر المأمور به في الدَّعوة.
- تحقيق التَّجرُّد وقصد الحق والبعد عن التَّعصُّب.
- إحداث التغيير.
- التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدّي والإفحام.

المبحث الثالث

من ثمرات الختام الإيجابي للحوار

إنَّ النِّهايةَ الإيجابيّة للحوار ثمرةٌ من ثمرات الحوار الفعَّال، ودليلٌ ظاهر على نجاح ذلك الحوار، فلو لم يخرج المتحاوران من حوارهما بشيء سوى حسن حوارهم وإيجابية خاتمته لكان هذا مقصودًا لذاته.. كيف لا وقد ابتعدوا بذلك عن الخصام والجدال المنهي عنهما، وتخلقا بأخلاق الإسلام الداعية لحسن التعامل، وفي هذا المبحث الموجز سأشير إلى بعض الثمرات المهمة التي يجنيها الحوار الذي تحققت فيه الخاتمة الإيجابيَّة.

تحقيق هدف الحوار:

"إن هدف الحوار هو شرح وجهة النظر، وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر؛ لفهم وجهة نظره ثم التفاهم معه، ذلك أن التفاهم لا يكون من دون فهم متبادل"[(١)]، وهذا لا يتحقق ما لم يكن المحاور إيجابيًا، ويعرف كيف ينهي حواره، دون أن يسمح لمخالفه بالتقاط سلبيات تحسب عليه، ثم تنسحب على دعوته، فتشوّه صورة ما يدعو إليه، فيكون بذلك قد أضر دعوته وما معه من الحق قبل أن يضر خصمه!.

(١) كيف تتحاور مع الآخرين؟، رضا محمد العراقي: ١٨٠.

الاقتداء بالمنهج القرآنيّ:

إن "المنهج القرآني في الحوار يرشد إلى إنهائه بمهمة وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير، إن لم يظهر أثرها في الفكر، إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم، بل يؤكد حريته واستقلاليته، ويقوده إلى موقع المسؤولية؛ ليتحرك الجميع في إطارها، وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال.."[1].

والإسلام "آداب، وقيم، ومنهج أخلاقي، يحترم الإنسان وحريته في الاختيار، كما يحترم حقه في الاختلاف والمجادلة، والنتيجة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[2]"[3]، والله تعالى أعدل من حكم، لذا لن يحاسب الداعي إلى الحق إذا لم يقتنع بدعوته من يدعوه، فليس على الداعي والمحاور والمجادل إلا البلاغ، أما النتائج فهي من عند الله فهو سبحانه: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[4]، "والأمة إذا وقفت وقفة إيجابية فأنكرت المنكر، ووجهت، ونصحت، نجّاها الله، وهكذا يجب علينا أن نفعل، ونتائج الاستجابة على الله لحِكَم يعلمها"[5]، اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً

---

(١) الحوار: أبعاد وإيماءات، ودلالات، السيد محمد حسين فضل الله، مجلة المنطق، العدد ١٠٥، ربيع الأول ١٤١٤هـ: ١٦.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) كيف نتحاور مع الآخرين؟، رضا محمد العراقي: ١٨٢.

(٤) النحل: ٩٣.

(٥) الإيجابية، نماذج- ضوابط- مقومات، توفيق علي زبادي: ٨٤.

قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[1].

ضمان استمرار الحوار:

إن "من أهم ضمانات استمرار الحوار؛ بناءه على العناصر التي تجعله مثمراً؛ لأن الحوار إذا كانت نتائجه سلبية، أو حتى غير إيجابية، فإنه سيفقد شعبيته، ومن ثم اعتباره، ومن ثم سينقطع!"[2].

تحقيق خلق الصّبر المأمور به في الدّعوة:

النهاية الإيجابية للحوار تجسّد الصبر الذي تحلى به المتحاور مع الطرف الآخر؛ فالصبر جعله يتغلب على مشاعره وأحاسيسه تجاه الطرف الآخر، وحبسه عن أن يتعدى عليه بسب أو شتم؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[3].

فالمؤمن الإيجابي يجب أن يتحلى بالصبر:

- "الصبر على التَّكذيب.
- والصبر على الأذى.
- والصبر على نفخة الباطل وانتشائه بالغلبة والسلطان في فترة من الزمان.

(1) الأعراف: ١٦٤–١٦٥.

(2) كيف تتحاور مع الآخرين، رضا محمد العراقي: ٢٠٤.

(3) العصر: ١–٣.

- والصبر على طباع الناس، وأخلاقهم، وتصرفاتهم.
- والصبر على النفس وميولها وقلقها وتطلعها، ورغبتها في النصر القريب، وما يتعلق به من رغائب وآمال.
- والصبر على أشياء كثيرة في الطريق قد تجيء من جانب الأصدقاء، قبل أن تجيء من جانب الأعداء!"[1].

تحقيق التجرّد وقصد الحق والبعد عن التعصب:

إن في نهاية الحوار بإيجابية دلالة على أن المحاوِر إنما كان متجردًا في حواره، بعيدًا عن العصبيَّة التي تفسد جوَّ الحوار، وكذلك البعد عن الأحكام المسبقة تجاه الطرف الآخر؛ لأن تلك الأحكام هي الدافع لعدم تقبل الرأي الآخر، ومن ثمَّ التعصب للرأي، ومجانبة الآداب المرعية في جو الحوار، ولله درّ من وصفه ابن زيدون بقوله:

قَسيمُ المحيّا ضَحوكُ السَماحِ ... لَطيفُ الحِوارِ أَديبُ الجَدَل

إحداث التّغيير:

إن الحوار الإيجابيّ لابد من أن يحدث تغييرًا ما في نفس المتحاور معه؛ إما أن تتغير وجهة نظره التي كانت خاطئة، أو يبدأ بالتفكير فيما عرضه عليه صاحبه، أو يبحث بنفسه عن الحقيقة؛ بغية الوصول إليها، أو يتعلم أسلوب الحوار الجيد؛ فيرتقي حواره في المرات القادمة.. إلى غير ذلك من التغيرات التي تحدثها الإيجابية في نفسه، ولن يحصل ذلك إلا بتحقق الإيجابية في الحوار عمومًا وفي الختام خصوصًا.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: (٥/٢٠٨٧).

"إن من المهم أن نحصل من وراء الحوار على ثمرة ملموسة؛ لأن الحوار ما دام يتم غالبًا بين مختلفين ولو على مستوى الفرعيّات والجزئيَّات؛ ولأنه مادمنا ننشد من وراء الحوار الوصول إلى الحق؛ فإذًا من الطبيعي أن يحدث تغييرًا في آراء المتحاورين.." [1].

التزام القول الحسن، وتجنب منهج التّحدي والإفحام[2]:

إن من أهم ما يتوجه إليه المحاور في حواره التزام الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3]، ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]، ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾[5]، والتزام المسلم بهذا الأدب الرفيع في حواره يدل على إيجابيته، ورغبته في كسب من يتحاور معه، فهو بذلك سينهي حواره بحديث حسن، ويتجنب منهج التحدي والإفحام الذي يورث العناد.

إن مهمة الدعاة أن يجذبوا الناس إليهم بالأسلوب الحكيم الذي يجسّد القوة بدون قسوة، ويوحي باللين من غير ضعف؛ ليظلُّوا الملجأ الذي يقصده التائهون في دياجير الضلال، والمعاندون الذين يتوخون الرجوع إلى الحق، دون أن يتلبسوا بما ينفّر الناس من دعوتهم.

---

(١) ينظر: التربية بالحوار، أ.د. عبدالكريم بكار، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: ٣٧-٣٨.

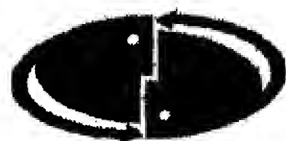
(٢) ينظر: الإيجابية، نماذج- ضوابط- مقومات، توفيق علي زبادي: ٦٨.

(٣) الإسراء: ٥٣.

(٤) النحل: ١٢٥.

(٥) البقرة: ٨٣.

وختاماً.. فإنَّ تذكّر هذه الثمار اليانعة يحفّز النفس للتخلّق بالأخلاق الحسنة التي تأسر قلب من ندعوه، وتلين قلب من نحاوره، وقبل هذا كله ترضي ربنا، وتجعلنا دعاة للإسلام بأخلاقنا وتعاملنا.



المبحث الرابع

تحقيق الختام الإيجابيّ

(العوامل، والمعوِّقات)

المبحث الرابع

تحقيق الختام الإيجابي (العوامل، والمعوقات)

إنَّ الارتفاع بأسلوبنا في الحوار، والوصول للتميز فيه، ليس بالأمر الهيّن؛ بل يحتاج لمجاهدة النَّفس، وبذل الصّبر، وإحسان النيَّة، وغير ذلك من العوامل التي تكون سببًا -بعد توفيق الله- في الوصول للمراتب السَّامية، ومن جانب آخر فقد تكون لدينا بعض المعوّقات التي يستحيل مع وجودها أن نصل لختامٍ إيجابيّ؛ وسأقتصر في هذا المبحث على عرض إشارات أراها أساسية لمن أراد أن يسلك هذا السبيل.

أولاً: من عوامل تحقيق الختام الإيجابي :

الأمل والثّقة بالله:

ثمَّة أمر مهم يدعو المحاورَ إلى أن يتخذ الإيجابية أسلوبًا له في حواره؛ ألا وهو الأمل والثقة بالله: "فالمؤمن الإيجابي لابد من أن يتحلى بالأمل قبل العمل، وأن يوقن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[1]، وبقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ

---

(١) غافر: ٥١.

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]، والأمل يتحقق في النفس بإدراك الحقائق الآتية:

- قوّة الله التي لا تقهر.
- قوّة المنهج الذي لا يتغيَّر.
- التاريخ الحافل بحتمية سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل.
- الواقع الشاهد بثمار جهود الإيجابيين"[2].

فهذا الأمل سيدفعه إلى نهج سبيل الرفق في التعامل، ويكون ذلك منهجًا له في حواره مع الآخرين، مهما اختلفت آراؤهم، وتنوعت مذاهبهم، وتعددت مشاربهم.

إحسان النيّة:

لا يخفى على القارئ الكريم أثر النية الحسنة في كل شيء، فمن شأنها أن تحوّل العادات إلى عبادات، وفي الحوار نجد أن النية ضرورية للغاية: فالمتحاور إذا كانت نيته الوصول إلى الحق آيًا كان، فإن ذلك سيجعله لا يتعجل في أحكامه أو مصادرة الرأي المخالف لما يحمله، وعندما يثق المتحاور في أن ما يحمله هو الصواب؛ كأن يكون الحوار في الثوابت المسلّم بها؛ فإن النية الحسنة مطلوبة أيضًا، فإن الحالة وإن كانت كذلك فينبغي أن يكون قد نوى في حواره إقناع الطرف الآخر بالتي هي أحسن والانتصار للحق لا لذاته التي تحمل ذلك الحق، وينبغي التنبه لمسألة مهمة، وهي أنك "قد تجادل بقصد إظهار الحقّ، وفي خضمّ

(١) النور: ٥٥.

(٢) الإيجابية، نماذج– ضوابط– مقومات، توفيق علي زبادي: ١٦٠.

الجدال يتحول القصد إلى إثبات الذات والتفوق على محاورك، ويتحول الجدال المحمود إلى جدال مذموم يصل بصاحبه إلى الخصومة"[1].

استشعار مسؤولية الكلمة:

إن المتحاور إذا امتثل قوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2]، فإن ذلك يدعوه إلى الإيجابية في حواره، ومن ثمّ الوصول إلى خاتمة الحوار بأمان؛ لأن ذلك سيدعوه إلى الرقي بأسلوبه، وانتقاء الكلمات المناسبة التي لا تجرح مشاعر الطرف الآخر، إضافة إلى أنه سيتجنب الكذب والزور في حواره؛ لأنه يعلم أنه محاسب على كل ما يقول.

التحضير الجيد للحوار:

"التحضير للحوار بشكل جيّد له أهميته في نجاح الحوار، فعلى المحاور أن يكون مستعدًا قبل حواره، ويخطئ كثير من المحاورين حينما يشتركون في حوارات وهم غير مستعدين لها، أو أنهم غير ملمين بما سيدور في الحوار؛ ومن ثَمَّ يكون لذلك انعكاسات سلبية على شخصية المحاور"[3]، إضافة إلى أن الحوار يكون عرضة للفشل، والخاتمة السيئة غير المتوقعة، بسبب عدم التحضير الجيد، وتهيئة النفس لذلك، وتحديد الهدف، وترتيب الأفكار والأدلة.

ومن التحضير الجيد للحوار أن يُلزم نفسه بالنتائج الإيجابية التي

(١) الحوار حياة، إيهاب العشري: ٣٠.

(٢) ق: ١٨.

(٣) الحوار حياة، إيهاب العشري: ٦٧.

سيؤول إليها ذلك الحوار، وتكون نصب عينيه في أثناء محاورة خصمه؛ ويعمل على ترسيخها في وجدانه، وليس معنى ذلك أن يكون قد حكم على الحوار مسبقاً؛ بل المعنى أن تكون لديه عدة خيارات إيجابية لإنهاء الحوار، فهو قد وضع النهاية المطلوبة وهي إقناع الطرف الآخر، فإن لم تحدث فلديه خيارات أخرى لإنهاء حواره بالكلمة الطيبة، والأسلوب الحكيم الذي يجعله يكسب الحوار رغم عدم التوصل للرأي الواحد.

الانطلاق من نقاط الاتفاق، والمؤشرات الإيجابيّة:

إن من يرغب في النهاية الإيجابية عليه أن يراعي في محاورته نقاط الاتفاق فيعززها، ويجعلها حبل الوصل بينهما، ويؤجل نقاط الاختلاف، وهذا "منهج نبوي يبيّنه لنا رسول الله ﷺ في حواره مع قريش، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1] صعد النبي ﷺ على الصفا؛ فجعل ينادي: (يا بني فِهْر، يا بني عَدِيّ) لبُطُون قريش حتى اجتمعُوا، فجَعَل الرَّجل إذا لم يستطع أن يخرُجَ أرسل رسولاً؛ لينظُر ما هُوَ، فجَاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: (أَرَأَيتُكُم لو أَخْبَرتُكُم أَنَّ خَيلاً بالوادِي تُرِيدُ أن تُغِيرَ عَلَيكُم، أَكُنتُم مُصَدِّقِيّ)، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليكَ إلا صِدقًا، قال: (فإنِّي نَذِيرٌ لَكُم بينَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ)[2].. فالانطلاق من نقاط الاتفاق يجعل البداية هادئة ومنطقيّة، ويفتح آفاقًا للتلاقي، ويُقلّل الفجوة، ويوطّد العلاقة، ويوثّق الصلّة، ويُقلّل من احتمالات الشر، ويزيد فرص الخير؛ لذا ابدأ

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) صحيح البخاري (٤٧٧٠).

من خلال النقطة المتفق عليها، حتى لو كانت نسبة الخلاف بينك وبين الطرف الآخر ٩٩٪، ونسبة الاتفاق ١٪"[1]؛ لأن هذا الاتفاق وإن كان قليلاً سيساعد في بناء الانطباعات الإيجابية، ويزيد من احتمالية الختام الإيجابي للحوار.

الحوار الإيجابيّ مع النفس:

إن الحوار لا يقتصر على طرف أو أطراف أخرى، فقد يكون المحاور الآخر هو نفسك، فإذا أحسنت الحوار الإيجابي مع ذاتك تستطيع أن تطبق ذلك في حوارك مع الأطراف الأخرى، ويكون بناء الحوار الإيجابي مع النفس بالمران، بحيث تجعل عقلك ينصرف عن الانسياق وراء الأفكار السلبيّة التي تحطّمك، وتجعلك أسيرًا للسلبية، ومن ثمَّ ينعكس ذلك على طريقة حوارك مع غيرك.

النظرة الإيجابيّة للخلاف:

ليس من الضروري في كل حوار أن نصل إلى رأي موحّد، لكن المهم حينما نتحدث عن الإيجابية في الحوار أن ننظر للخلاف نظرة إيجابية، وأن ننهي الحوار -رغم الاختلاف- بأسلوب لطيف مهذب، ينم عن الفهم والوعي بمعنى الحوار، وفهم الطرف الآخر.

ويمكن أن نجمل قيمة الاختلاف وإيجابيته في نقاط منها:

- "الوصول إلى أفكار جديدة، تلاقح الأفكار القديمة.
- الوصول إلى الإبداع في طرح الموضوع وتناوله.

(1) الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة: ٦٤.

- معرفة كيف يفكر الطرف الآخر.
- فرصة للتفكير في إيجاد حلول بديلة للمشكلة.
- إكساب الأفراد الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة وإيجاد الحلول.
- فرصة لأن يأخذ كل طرف ما يناسبه من حلول.
- الاختلاف في الرأي من شأنه أن يوسع القدرات والمدارك"[1].

كما أن الاختلاف بين البشر أمر فطري، وحقيقة بينها الله تعالى في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[2]، وليس بالضرورة أن يكون كل اختلاف سلبيًا؛ فهناك اختلاف تنوّع، واختلاف أفهام، ووجهات نظر متعددة بتعدد زوايا النظر للمسألة.

وأخيرًا فإن من يريد أن يكون إيجابياً في حوار فعليه أن "يدرك أهمية الحوار أولاً، ثم أصوله وأسبسه ثانياً، وأخيراً احترام الطرف المعاكس أو الآخر.."[3].

البداية الصحيحة للحوار:

يقولون: "من صحت بدايته صحت نهايته"؛ فالبداية الصحيحة للحوار، وحسن الاستهلال له، والمدخل اللّبق اللّطيف الذي يُشعر بالحوار

(١) ينظر: الحوار حياة، إيهاب العشري: ٧٢.

(٢) هود: ١١٨– ١١٩.

(٣) كيف تتحاور مع الآخرين؟، رضا محمد العراقي: ١٧٩.

لا بالخصام سبب مهم في حسن الخاتمة للحوار؛ بل إن البداية الإيجابية للحوار تنعكس مباشرة على أسلوبه، وطريقته، وعلى خاتمته كذلك.

"إن حسن الاستهلال لأي خطاب أو حوار له أثره في نجاح وجذب المستمع أو المحاور، والحوار تجربة لإثبات الحق أو للوصول إلى نقاط اتفاق في مساحات مشتركة للتعاون والتعايش، وحسن الاستهلال للحوار من أهم معالم المنهج الذي يكفل نجاح الحوار"[(١)] وإنهاءه بطريقة إيجابية، وهذا ما نجده واضحًا في الحوارات القرآنية، وحوارات الأنبياء مع أممهم.

والأساليب والمداخل اللطيفة للحوار كثيرة، ومنها:

- "البدء بالحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة على النبي محمد ﷺ، وهذه خير البدايات.
- ترك الفرصة للمحاور حتى يبدأ بالحديث، وهذا مفيد جدًا في الحوار؛ لأنك لو بدأت أنت بالحديث فسوف تمنحه الفرصة الذهبية ليتصيد أخطاءك، ثم يبدأ في مهاجمتك وتتحول أنت إلى مدافع.
- ابدأ بإثارة النقاط المتفق عليها.
- ابدأ بالمسلمات والبديهيات؛ حتى يكون حوارك هادئًا ومنطقيًا"[(٢)].
- أظهر بشاشتك وابتسامتك للطرف الآخر، وصرّح بهدف الحوار وهو الوصول للحقيقة.
- "لا تبدأ حديثك بالقول: سأثبت كذا وكذا لك؛ فهذا أسلوب خاطئ، فكأنك تقول له: أنا أذكى منك وسأخبرك بشيء وأجعلك

---

(١) الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل، د.عيسى الدريبي: ٤٨.

(٢) ينظر: الحوار حياة، إيهاب العشري: ٨٧- ٩٠.

تغيّر رأيك"[1].

اللغة الإيجابية للحوار:

جاء في الأثر: "إن من البيان لسحرًا"[2]، فالكلام والأسلوب الجيد يعمل عمل السحر في القلوب، وبمقدار ما تحمل لغة الحوار من المعاني الإيجابية تصل إلى الطرف الآخر، وكلما زادت الألفاظ والجمل السلبية أوشكت مع تراكمها في الحوار أن تنفجر لتصل في النهاية إلى خاتمة سلبية للحوار كله!.

إن على المحاور الجيد أن يتقن أسلوبه، ويزن كلماته قبل أن يخرجها، فالكلمات تجرح، وقد تقتل! ومن جملة ما يمكن التذكير به في هذا السياق:

- "مراعاة المستوى الثقافي لمحاورك.
- التركيز على الكلمات الإيجابية قدر المستطاع، وسأضرب أمثلة لذلك:

كلمات إيجابية	كلمات سلبية
أفهمك	لا أفهم ما تقول
أقدّر مشاعرك	أنت خيالى
سأبذل قصارى جهدي	ليس لى علاقة بالموضوع
سينتهى الأمر على خير	مستحيل أن نجد حلاً

(١) المرجع السابق: ١٠٣.

(٢) البخاري (٥١٤٦).

- تقديم الثناء على محاورك ضمن الحوار؛ وهذا سيعمل عمل السحر في نفسه، ويفتح لك قلبه؛ شريطة أن يكون تلقائيًا غير متكلف.
- كرر المصطلحات التي تخلق جوًا من الأُلفة بينك وبين محاورك، مثل: (من فضلك، صححني قد أكون مخطئًا..).
- ضمائر المتكلم (أنا- نحن- تُ- نا) قد تدفع محاورك إلى الشعور بالاستفزاز أو أنك تتعالى عليه"[1]؛ فحاول التقليل منها.

تلخيص أهم النقاط:

إننا "حتى نشعر بأننا خرجنا بشيء ملموس في حوارنا فإن علينا في ختامه أن نقوم باستعراض أهم ما توصّلنا إليه، واستعراض جميع الخيوط المبعثرة والمشتتة، وتقديمها في ملخص مختصر يشتمل على ما تم الاتفاق عليه، وعلى ما يحتاج إلى المزيد من البحث، وعلى ما لا سبيل إلى وفاق فيه؛ لكونه غامضًا أو جزئيًا، أو فرعيًا.."[2]، كل ذلك بأسلوب راقٍ لطيف، وهنا سيشعر الطرفان بفائدة هذا الحوار -وإن لم يتفقا على كل ما ورد فيه- وهذا الشعور سيولد الإحساس بالإيجابية؛ ومن ثم تتجسّر الفجوات بين الطرفين، ويكونان على استعداد لمعاودة الحوار في وقت لاحق؛ طالما أنهم يخرجون منه بفائدة ولو قليلة.

(١) ينظر: الحوار حياة، إيهاب العشري: ١٠١- ١٠٣.

(٢) ينظر: التربية بالحوار، أ.د. عبدالكريم بكار: ٢٨.

ثانياً: من معوقات تحقيق الختام الإيجابيّ:

لا يكفي لتحقيق الختام الإيجابيّ أن نعرف العوامل المؤدية إليه، ونعمل على التحلّي بها، بل لابد مع ذلك أن نعرف أهم المعوّقات التي تجعل كثيرًا من حواراتنا تنتهي بالفشل؛ مع أنه قد رُوعي فيها كثير من تلك العوامل.

ومن هنا سأشير إلى بعض تلك المعوّقات بإجمال، مع التفصيل في بعضها حين أجدّ أهمية لذلك، على أن ترتيب تلك المعوّقات ليس مبنيًا على الأهمية أو نحو ذلك؛ فمعوّق واحد قد يفسد الحوار كاملاً!

السلبية في الحوار:

السلبية ضد الإيجابية، ومفهومها هنا بوجه عام: أن يختل في الحوار ركن أو شرط من شروط نجاحه، وينحو لمناخٍ شخصيَّة ذاتيَّة، ويبتعد عن الموضوعية.

وإذا دخلت السلبية في الحوار فلا تنتظر أن ينتهي ذاك الحوار بهدوء وإيجابية، وللسلبية الحوارية صور متعددة، منها[1]:

١- الحوار العدمي التعجيزي: وهو الذي يركز فيه المتحاوران على السلبيات والأخطاء؛ فينتهي الحوار دون تحقيق أي هدف.

٢- حوار المناورة: وفيه ينشغل الطرفان أو أحدهما بالتفوق اللفظي والعناية بالمنطق وفلسفة الموضوع؛ بصرف النظر عن الثمرة الحقيقية للنقاش.

---

(١) ينظر: الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة: ٣٣-٣٤ (بتصرف).

٣- الحوار السلطوي: وذلك بأن يلغي أحد الطرفين كيان الطرف الآخر، ويراه أقل شأنًا منه وعليه أن يسمع ويستجيب فحسب دون مناقشة.

٤- حوار الطريق المسدود: يعلن الطرفان أو أحدهما منذ البداية تمسكه بثوابت مضادة، تغلق الطريق منذ البداية أمام النهاية الإيجابية المرتقبة، ولسان الحال: لا داعي للحوار؛ فلن نتفق.

٥- الحوار الإلغائي أو التسفيهي: بحيث يرى أحد الطرفين أن ما يقوله هو عين الصواب وما سواه خطأ، ويحاول إلغاء الطرف الآخر وتسفيهه.

٦- حوار البرج العاجي: يقع فيه بعض المثقفين أو الإعلاميين؛ حين تدور مناقشاتهم حول قضايا فلسفية مقطوعة الصلة بواقع الحياة اليومي، وواقع مجتمعاتهم.

٧- الحوار المعاكس: وفيه يحاول أحد الطرفين أن يخالف الطرف الآخر في أي رأي يعرضه؛ لا لشيء إلا لزعمه أن ذلك مما يجعله ذا شخصية مستقلة، ويحقق له التميز!.

٨- حوار العدوان السلبي: كأن يلجأ أحد الطرفين إلى الصمت؛ عنادًا وتجاهلاً، ورغبة في مكايدة الطرف الآخر، بشكل سلبي دون التعرض لخطر المواجهة.

فهذه بعض الصور السلبية للحوار، فإذا كان الحوار كذلك فلن ينتهي بإيجابية؛ لأن النهاية مترتبة على الأسلوب الذي ينتظم الحوار كاملاً، كما أنها في الوقت ذاته ثمرة من ثمرات الحوار، ونتيجة له.

الحكم المسبق:

إذا بدأت حوارك وقد حكمت مسبقًا على الشخص الآخر، وصنّفت فكره، وقيّمت رأيه، فإن ذلك حتمًا سيكون عائقًا أمام إتمام الحوار بإيجابية؛ لأنك بهذا قد دخلت للحوار وأنت موقن بنهايته لصالحك، وأن الحق معك، كما أنك لن تكون منفتحًا على الطرف الآخر، ولن تترك له حرية التحاور، "وقد ينطلق البعض في حواره من منطلق أحكام سابقة نشأت لديه نتيجة لخبرات ومواقف سلبية مر بها، وأحيانًا تكون أحكامًا خاطئة على الناس؛ لأننا بنينا الحكم على مظهر الشخص دون أن نتعامل معه بشكل مباشر، ونخطئ كذلك حينما نبني حكمًا سلبيًا على شخص لمجرد تصرف بدر منه وقت غضب ونحو ذلك"[1].

والخلاصة في هذا أن نأتي "إلى طاولة الحوار برأي لا بقرار؛ ونقصد بالرأي هنا ما كان قابلاً للنقاش والأخذ والرد، ونقصد بالقرار ما لم يقبل ذلك؛ بحيث يُطرح الطرف الآخر بين خيارين لا ثالث لهما: إما التبني، وإما التخلي"[2].

الدُّخول في النيّات:

إن مما يؤجّج الخصومة، ويذكي العداوة في الحوار الدخول في

---

(١) الحوار حياة، إيهاب العشري: ٧٩.

(٢) أسلوب الحوار في القرآن الكريم: الموضوعات والمناهج والخصائص، إدريس أوهنا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ٣٧.

النيّات؛ حيث يظنّ أحد الطرفين ظنّ السوء بصاحبه، ولا يكتفي بذلك؛ بل يجعل ذلك الظن السيء أساسًا في مناقشته، وكما قيل:

إذا ساء فعلُ المرءِ سَاءت ظُنُونُه ... وصَدَّق ما يعتادُهُ من توهُّمِ

فإذا دخلت هذه الآفة في الحوار كان هذا إيذانًا بنهاية فاشلة سلبيّة مبنية على ظنّ السوء، وتلك هي الآفة التي حذّرنا الله تعالى منها، فقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1]، وحذرنا منه رسوله المصطفى ﷺ في قوله: "إيَّاكم والظنّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذَبُ الحديث"[2].

تصيُّد الأخطاء:

"قد يميل بعض الناس عند الاشتراك في الحوار إلى تلمس أخطاء محاوره، وفي المقابل يتغافل عن حسناته.. وأمثال هؤلاء الأشخاص من الأفضل عدم التحاور معهم؛ لأن في حوارهم ضياعًا للوقت بلا فائدة"[3]؛ لأنهم قد جعلوا تصيد الأخطاء هو هدف الحوار، فكيف يمكن أن يصلوا إلى ختام إيجابي؟.

ارتفاع صوت "الأنا":

إذا أحسّ الطرف الآخر بأن محاوره يتسلط عليه بأنانيته، وكأنه وصيّ عليه، والحق يحمله هو فقط، ويطلب من الطرف الآخر الاستجابة فحسب فإن هذا حتمًا سيكون سلبًا على الحوار، وعائقًا عن تحقيق

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) البخاري (٥١٤٣ و٦٠٦٦ و٦٧٢٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٣) الحوار حياة، إيهاب العشري: ٥٧.

الإيجابية المطلوبة.

إننا "قد نتحاور وكلّ منا بقناعات مختلفة عن الآخر تمامًا، إلى درجة قد تصل إلى التناقض، لكننا بالتعصّب للرأي سنتجه بالحوار إلى طريق مسدود، ينتهي بالعداوة والخصومة"(١) فلا بد من التحرر من التعصب الناشئ عن أنانية المحاور؛ لكي نصل للهدف من الحوار، فإن "تجنب التعصب للرأي، وإبداء الاستعداد التام للانفتاح على الحق والأخذ به متى ظهر، بغض النظر عن لسان من ظهر؛ من أهم ضوابط الحوار، وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه القاعدة في الحوار"(٢)، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٣).

الغضب:

من أكبر المعوقات عن الخاتمة الإيجابية الغضب، فهو محفّز لنهاية سلبية مليئة بالألفاظ القبيحة؛ ولذا فعندما قال رجل للنبي ﷺ أَوْصِنِي قال: "لا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لا تَغْضَبْ"(٤)، فالغضب ينفّر الآخرين منك، ويزجّ بالحوار لنهاية سيئة، وقَلَّ أن يحضر الغضب في حوار ثم يُختم بخاتمة حسنة؛ لأن الغضب كالنار، إذا اشتعلت لا تبقي ولا تذر، والعياذ بالله.

(١) ينظر: الحوار حياة، إيهاب العشري: ٥٩.

(٢) أسلوب الحوار في القرآن الكريم: الموضوعات والمناهج والخصائص، إدريس أوهنا: ٤١.

(٣) سبأ: ٢٤.

(٤) صحيح البخاري (٦١١٦).

إن المحاور الإيجابي لا يكتفي بالابتعاد عن الغضب فحسب؛ بل يسعى لامتصاص مشاعر الغضب لدى الطرف الآخر؛ لأنه يؤمن أن هدف الحوار هو الوصول للحقيقة، وهناك عدة مهارات لتمتص بها غضب محاورك، ومنها:

- "وافقه مبدئيًا على مشاعره، وقل له مثلاً: (أوافقك على هذا..).
- ابحث عن نقاط الاتفاق، وحاول أن تبرزها.
- اصمت لبرهة، ولا تتحفز للرد.
- لا تغضب لشخصك، والتمس له العذر، وقدر منزلته.
- اسأله: ما الحلّ من وجهة نظرك؟"[1] ونحو ذلك من الأسئلة التي تمتص شحنات الغضب لديه.

وأخيرًا لتعلم أن الغضب وسيلة الضعيف الذي لا حجة معه، فهو يلجأ لذلك، إضافة لتجليات الغضب؛ كرفع الصوت، والتراشق بالألفاظ القبيحة؛ حتى يستر ضعف حجته، فواجه ذلك بأسلوبك الرائع، وتمثل قول الشاعر:

ويحتدمُ الحوار على أناسٍ ... وليس عليَّ يحتدم الحوارُ

مصادرة الرأي الآخر:

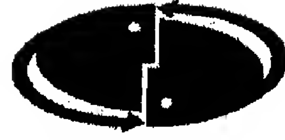
"مصادرة آراء الآخرين، وغلق الأبواب في وجوههم يجعل جذور الخطأ تمتد إلى الأعماق، ومن ثم يصعب تصحيحها، أو على الأقل تخفيفها، ولهذا فنحن نحتاج إلى ترويض ومتابعة لكي نتعلم كيف نحترم الرأي الآخر، وننجو من مصادرة آراء الآخرين، كما أنه ليس

(١) الحوار حياة، إيهاب العشري: ١٠٩.

بالضرورة أن يخلص الحوار في المسائل الاجتهادية إلى اتفاق الكلمة – وإن كان ذلك من الأمور المحبوبة–؛ لأن المدارك والأفهام قد تختلف من إنسان لآخر، وما قد يكون واضحًا جليًّا عندك، قد لا يكون كذلك عند غيرك، قال تعالى : ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[1]"[2].

(١) هود: ١١٨–١١٩.

(٢) الحوار: أصوله المنهجية، وآدابه السلوكية، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: ٦٨–٦٩.



الختام

إنهاءُ الحوار فَن

الختام

إنهاءُ الحوار فنّ

بعد أن عرضت لك هذا الموجز حول ختم الحوار بقي أن نصل لحقيقة مهمة هي: أن إنهاء الحوار فن، لا يجيده إلا من وفقه الله، ووطّن نفسه على الصبر، وتعلّم الفِطنة؛ فإنك حين تريد إنهاء الحوار تتشعَّب بك السبل، فإما أن تودّع محاورك وتقطع عليه حواره، وإما أن تفاجئه بأسلوب فجّ تغلق به حوارك، وإما أن تعتذر عن إتمام حوارك معه.. إلى غير ذلك من الخيارات الواسعة، بل إن توقيت إنهاء الحوار فنّ، واللبيب هو من يستخدم ألفاظه، ولغة جسده، ويستثمر الزمن حين يريد ختم حواره؛ فيحقق بذلك الحسنيين: ختم الحوار بإيجابيَّة، وعدم خسارة الطرف الآخر.

وعندما "تتسع شقّة الخلاف بين الطرفين، أو يضيق الوقت، أو أن الطرف الآخر لم يكن جادًا في البحث عن الحقيقة، أو دون المستوى المطلوب في الحوار، أو ممن يهوون الاستعراض والجدل العقيم والحديث عن النفس.. عندها يجب إقفال الحوار وإنهاؤه بفن وفطنة، من خلال الاقتداء بالمنهج الربَّاني، والمنهج النبويّ الذي أشرت إلى نماذج منها، والاستعانة كذلك ببعض الأمور والتنبه لها، ومن ذلك:

١- أن يكون إنهاء الحوار في اللحظة المناسبة، أو عند بلوغ الهدف.

٢- أن ينتهي الحوار بالابتسامة، والسرور، وتقديم الشكر للطرف الآخر دون مبالغة أو مداهنة؛ فالابتسامة والتبسم وسيلة للتآلف،

وكسب القلوب، وهي أدب نبوي في تعامله ﷺ مع أصحابه ومع الناس.

٣- عبِّر في نهاية الحوار عن استمتاعك بالحديث، والرغبة في المزيد من الحوار في وقت آخر.

٤- لخِّص ما تم التوصل إليه، واعرض - بإجمال- أبرز الفوائد من حواركما.

٥- ختم الحوار بآيات من القرآن الكريم، أو ببعض الوصايا، أو الدعاء، أو بطرح بعض الأسئلة التي تدعو للتأمل والبحث"(١).

٦- من تمام الفطنة واللباقة أن تُوجد سببًا لإنهاء الحوار حين ترغب في النهاية السَّريعة؛ كأن تخبر محاورك أن لديك أعمالاً مهمة تتطلب الذهاب فورًا، أو عندك موعد مهم، أو غير ذلك؛ مما يجعلك تخرج من حوارك بهدوء.

وختامًا.. لتعلم أنه في "بعض الأحايين لا يجدي الحوار؛ فيكون الاستمرار فيه ضربًا من الهذيان الذي يصير ضرره أكثر من نفعه، ففي مثل ذلك يحسن التوقف، وقطع الحوار؛ فذلك أدب رفيع ونظر في العواقب بعيد؛ إذ لو استمر الحوار -والحالة هذه- لربما كانت العواقب وخيمة.."(٢)، ولتستشعر في ذلك كلّه خطر الكلمة حين تخرج في غير موضعها فربما أصابت مقتلاً فأحدثت ما لا يحدثه السَّهم.

---

(١) ينظر: الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة: ١٠٨- ١٠٩ (بتصرف).

(٢) الحوار في السيرة النبوية، د.محمد إبراهيم الحمد: ١٥٦.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن طاب حديثه، وحسن فعله، ولان جانبه من غير ضعف، كما أسأله -عز وجل- أن يستعملنا في الخير، ويختم لنا بخير، ويجعل عاقبة أمرنا إلى خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..



ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسلوب الحوار في القرآن الكريم: الموضوعات والمناهج والخصائص، إدريس أوهنا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم: د.عبدالحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
- الإيجابية: نماذج، ضوابط، مقومات، توفيق علي زبادي، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حنفي شرف، طبعة دار النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م.
- التربية بالحوار: أ.د. عبدالكريم بكار، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- الحوار: آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، محمد شمس الدين خوجة، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الحوار: أبعاد وإيماءات، ودلالات، السيد محمد حسين فضل الله، مجلة المنطق، العدد ١٠٥، ربيع الأول ١٤١٤هـ.
- الحوار: أصوله المنهجية، وآدابه السلوكية، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- الحوار حياة: إيهاب العشري، مكتبة المعارف المتحدة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- الحوار في السيرة النبوية: د.محمد إبراهيم الحمد، طبعة رابطة العالم الإسلامي- المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

- الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، السيد محمد حسين فضل الله، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- الحوار الناجح في ضوء حوارات الأنبياء والرسل: د.عيسى الدريبي، سلسلة رسائل في الحوار (٤)، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- الحوار النبوي: المبادئ والأساليب، د.سعيد بن إسماعيل صيني، سلسلة رسائل في الحوار (٨)، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين: د.سعيد إسماعيل صالح صيني، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الدليل العلمي للحوار البنَّاء: (٤٠ مهارة وأدبًا)، د.أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- صحيح البخاري: للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- صحيح مسلم: للإمام مسلم، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم والطباعة والنشر، جدة، الطبعة ١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- كيف تتحاور مع الآخرين؟: رضا محمد العراقي، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

قواعد النشر في السلسلة

١- أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.

٢- أن يتسم بالجدة والأصالة.

٣- أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.

٤- تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.

٥- ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.

٦- أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.

٧- يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.

٨- يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إليكترونية على قرص(CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.

٩- إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.

١٠- يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.

١١- يمنح المؤلف مكافأة مالية ، إذا أجيز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.

١٢- المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار ، عبر البريد الإليكتروني :(rs@kacnd.org)، فاكس: ٢٧٥٤٧٤٩ ، هاتف: ٢٧٥٦٢٦١ ، ص.ب: ٨٩٨٦٦ ، الرياض:١١٦٩٢.

المؤلف في سطور

أ. محمد بن عادل السيد

يدرس الماجستير بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

له عدد من البحوث والدراسات في مجال البلاغة والنقد وعدد من المشاركات الأدبية

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني
إدارة الدراسات والبحوث والنشر
rs@kacnd.org